مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٦

ضد الذين لا يريدون الاعتراف بأن العذراء القديسة هي الثيؤطوكوس

للقديس كيرلس السكندري

ترجمة: بيشوي بشرى فايز

مدرسة الإسكندرية

ضِدّ الذين لا يريدون الاعتراف بأن العذراء القديسة هي الثيؤطوكوس للقديس كيرلُّس السكندري

ترجمة بيشوي بشرى فايز
Bishoyboshra@alexandriaschool.org

مقدمة

يُعتَبَر هذا المقال بصفة عامة نموذجًا آبائيًّا للمقالات اللاّهوتيّة، وبصفة خاصة لموضوع ''طبيعة المسيح'' الذي يُعَد قلب الفكر اللاّهوتي المسيحي. وترجع أهميته إلى إنه تعرَّض لإيمان الكنيسة في طبيعة المسيح متضافرًا مع الفكر الآبائي اللاّهوتي. كما يظهر من المقال، أن أساس اللاّهوت الآبائي هو شهادات الكتاب المقدس تأكيدًا على مدى تمسُّك الآباء بالكتاب المقدس.

تعامل الآباء مع الكتاب المقدس كوحدة واحدة متكاملة دون فصل آية واحدة وفهمها بمعزل عن باقي الآيات. وسنرى التطبيق العملي لهذا المنهج في هذا المقال؛ فنجد القديس كيرلس يقول: ''وعلى كل حالٍ، لا يجب أن نقطع فجأة الآية كما يفعلون، إنما لنضع في اعتبارنا قليلاً الآيات التي تسبق هذه الآية، كي نقدر على الفهم الصحيح لاعتراف التدبير الكائن هنا.'' (فقرة ١٢) كما فسَّر القديس أربع آيات أساء الهراطقة فهمها، مبرزًا ضرورة الرجوع إلى الأشخاص، الزمن وسياق النصّ والمناسبة التي قيل فيها، وكل هذا مقترنًا بنصوصٍ أخرى من الكتاب المقدس مع توضيح قصد الكاتب من النص.

استلم آباؤنا القديسون هذا المنهج كخبرة معاشة في تقليد الكنيسة من ذاكرة التاريخ. إنها خبرة مؤسَّسة على عمل الروح القدس، نستنشقها من أنفاس الأنبياء والرسل الذين اشتركوا في كتابة الوحي الإلهي؛ أنفاس اللّه.

ينقسم المقال إلى ثلاثة أجزاء:

١. تعرّض القديس كيرلس في الجزء الأول إلى مشكلة ظهور الهرطقات بصفة عامة، وبصفة خاصة الهرطقة التي تعرضت لطبيعة المسيح، والتي هي موضوع هذا

المقال، وذلك من خلال الإشارة إلى الفكر الأرثوذكسي والفهم السليم لتعبير "ثيؤطوكوس" مقابل تعبير "خريسطوطوكوس" واستخدامهما في الإشارة إلى القديسة العذراء مريم.

٢. ثم تناول القديس شرح أربع آيات من العهد الجديد أساء الهراطقة فهمها (١ تي ٢: ٥؛ يو ٨: ٤٠؛ ١ كو ٢: ٨؛ أع ٢: ٢٢).

٣. أما الجزء الأخير، فناقش فيه القديس كيرلس صحة استخدام تعبير "ثيؤطوكوس" كتعبير عقائدي خريسطولوجي، على أساس التعليم الكتابي للإنجيل بخصوص المسيح. وختم مقاله بوصيةٍ، داعيًا الشعب بضرورة التمسُّك بالإيمان الأرثوذكسي ونبذ الهرطقة.

أما بخصوص زمن كتابة المقال، فيقول جورج ديون. دراجاس Protopresbyter George Dion. Dragas: يبدو أنه قد كُتِبَ في زمنٍ سابق للصراع النسطوري، لأنه لم تأتِ إشارة إلى نسطور أو أتباعه، إلا أن الدارسين لهم وجهات نظر مختلفة بخصوص هذا الأمر لا مجال للخوض فيها الآن.

أما نص هذا المقال نجده في مجموعة الباترولوجيا جريكا:

PG 76, 255-292; *Acta Conciliorum Oecumenicorum*, ed. E. Schwartz, Alter de Gruuter & Co, Berolini et Lipsiae, 1927ff.

وقد أشار إليه الإمبراطور جوستنيان في مؤلفه "ضد المونوفيزيتيين *Against the Monophysites*"[١] وكذلك إفلوجيوس السكندري[٢] Eulogios of Alexandria.[٣]

أما النص العربي فقد تُرجِمَ عن الإنجليزية عن كتاب:

Saint Cyril of Alexandria, *Against those who are unwilling to confess that the Holy Virgin is Theotokos,* Orthodox research institute.

---

[1] PG 86: 1, 1132.
[2] PG 103, 1049A.
[3] PG 86: 1, 1132.

الجزء الأول

الخريسطولوجي ما بين فكر الهراطقة والفكر الرسولي

(أ) قيام الهرطقات المسيحيّة

(١) إنهم يتنبأون بطريقة إلهيّة

يعرف الأطباء الأدوية التي تمنع حدوث الألم. إنهم يكتشفون الضرر القريب ويخلطون أدوية مختلفة للتغلُّب على حِدَّة الألم. كذلك ربَّان السفينة الذي من خبرته يتنبأ أحيانًا بتغيُّرات الرياح ويقوم بما يلزم كي يحفظ السفينة ـ بمعونة اللّه ـ من الغَرَق. الرب يُحَذِّر نفوسنا بنفس الطريقة؛ يحذرنا بخطورة المغريات، حتى نعلم بالضرر قبل أن يحدث بنا ونتجنب بأمانٍ الخطر، لأنه يعرف مسبقًا كل شيء يحدث، ليس بالتخمين مثل هؤلاء الذين يحسبون الربح في المستقبل، إنما بمعرفة مسبقة تليق به وحده، وهكذا يعرف المستقبل. لقد أظهر لنا اللّه عقوبات قضائه قبل الوقت المُعيَّن، حتى إذا ما تعلّمنا بالخوف من هذه الأشياء المريعة، يمكننا بسهولة الهروب من عذابها. وبنفس الطريقة تنبأ على وجه الخصوص بأنه سيكون في الشعب أنبياء كذبة ومُعَلِّمون كذبة يدسون بدع هلاك، إذ هم ينكرون السيد الوحيد اللّه وربنا يسوع المسيح وسيتبع كثيرون تهلكاتهم، والذين بسببهم يُجَدَّف على طريق الحق. (انظر: ٢بط٢: ١، ٢؛ يه٤) إنه يتنبأ بهذه الأشياء حتى لا نُضلَّل بهؤلاء المُعَلِّمين الكذبة ونسقط في تعاليمهم المُرتدَّة.

(٢) الهرطقة التي تقسم المسيح

لقد كملت النبوات عندما ظهر في كنيسة اللّه العديد من الهراطقة الذين حاولوا انتهاك الإيمان الصحيح؛ تجرأ أحدهم وقال بأن كلمة "لوغوس" اللّه غريب كليةً عن جوهر الآب. وآخر رفض الاعتراف بلاهوت الروح القدس. بالإضافة إلى هرطقة أخرى رفضت حقيقة مجيء اللّوغوس. وأخيرًا ظهر الآن كفضلات الشرير، التجديف القائل: أن اللوغوس لم يصر إنسانًا ولكنه

سكن إنسانًا مولودًا من امرأة. يترتب على وجهة النظر تلك، انقسام للمسيح الواحد إلى اثنين: الله والإنسان. هذا غريب عن التعليم الرسولي واختراع من خيالات شيطانيّة، لأن كلمة الله تُعلِن لنا أنه في الأزمنة الأخيرة: «الكلمة صار جسدًا» (يو ١: ١٤). في الحقيقة لم يتحوَّل إلى طبيعة بشريّة ولكنه اتخذ لنفسه هذه الطبيعة، لأن اللّوغوس غير قابل للتغيُّر. إن قالوا إن ثمة زيارة إلهيّة صارت على إنسان مولود من امرأة، فإن هذا أيضًا ما حدث مع سائر الأنبياء، وإن كان هذا صحيحًا، فيجب إذن وجود اعترافين منفصلين في الأسفار الإلهيّة: واحد يُسَبِّح الله اللّوغوس في ذاته وآخر يُمَجِّد إنسانًا مثلنا في كلمات تليق بالإنسان.

(ب) التعليم الرسولي عن طبيعة المسيح

(٣) الاعتراف بمسيح واحد؛ الله / الإنسان

لم يكرز لنا الرسل في الإنجيل المقدس بالمسيح على أنه الله والإنسان متحدين، على العكس قدَّموا لنا مسيحًا واحدًا: الله والإنسان في نفس الوقت. ويُعَلِّم هذا يوحنا اللاّهوتي بوضوح في الإنجيل بقوله: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو ١: ١). ثم يضيف «والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا» (يو١: ١٤). والقديس بولس الكارز يقول في رسالته إلى العبرانيين: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضًا كذلك فيهما» (عب٢: ١٤). فهل تسمعون إذن الواحد يقول إنّ الكلمة صار جسدًا والآخر إنه اشترك فيهما؟ لكن لو وُلِدَ يسوع كإنسان من امرأة ثم بعد ذلك حلَّ عليه اللّوغوس كما قيل قبلاً، فمن الضروري إذن وجود اعترافين كاملين منفصلين في كل موضعٍ. ومع ذلك، الآن فإن الأسفار المُوحى بها إلهيًّا تنسب إليه باتحادٍ: الأشياء التي بالطبيعة تخصّ اللاّهوت والأشياء التي تخص طبيعة الإنسان؛ إن تدبير الاتحاد ظاهر بوضوح. عندما نسمع إذن الرسول يقول: «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح» (تي ٢: ١٣)، فهل لا تخجلون من فصل يسوع عن اللّوغوس؟ لأن بولس لم يقل «الله

العظيم الذي في يسوع المسيح» بل بالأحرى أعلن أن الواحد نفسه هو اللّه ويسوع . لهذا السبب أيضًا تكلّم بولس عن ظهور إلهي واحد.

(ج) المسيح ابن الإنسان

(٤) المسيح ليس مجرد إنسان مثل القديسين

نفس الأمر صحيح في تلك الأشياء التي تليق بالطبيعة البشريّة عندما تنسبها الأسفار الإلهيّة للّه. لأنه بالرغم من أن آلام المُخَلِّص لا يمكن أن تُفهَم على أنها خاصة باللاّهوت وأنها بالكامل آلام الجسد، أيضًا بسبب اتّحاد اللاهوت بالجسد اتحادًا لا ينفصل، قال الرسول: «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١كو٢: ٨). هل ترون أنه على حساب الاتحاد فإن كلمة التعليم الرسولي تُقَدِّم اعترافًا عامًا بالمسيح؟ لأن يسوع ليس مجرد إنسان قَبِلَ اشتراك واتحاد اللّه به. ولكن اللوغوس نفسه حلَّ في العذراء القديسة، متّخذًا لنفسه من جوهر العذراء [جسدها] هيكلاً لذاته. لقد وُلِدَ منها كإنسان ويُرَى من الخارج أنه إنسان، بالرغم من أنه في الداخل اللّه بالحقيقة. كذلك بعد ولادته حافظ على بتولية أمه، الأمر الذي لا يجوز لأي أحد من القديسين. القديسون هم بالطبيعة بشر يجتازون كلهم بالتساوي ميلادًا بشريًّا. لكن لأنه اللّه بالطبيعة، فإنه عندما أخذ في هذا الزمن الأخير السمات البشرية، أعلن أن الميلاد من العذراء يختلف عن أي ميلاد آخر. هكذا من الصواب والحق أن تُدعَى تلك المطوَّبة "ثيؤطوكوس *Theotokos*" والأم العذراء؛ لأن يسوع الذي وُلد منها لم يكن مُجَرَّد إنسان.

(٥) المسيح ليس مجرد إنسان: الأساس الكتابي

ولكن لماذا؟ نسبت الأسفار الإلهيّة للمسيح عمل وسلطان حدث حتى قبل مجيئه، لقد سلَّم لنا يهوذا التلميذ المبارك إلى حدٍ بعيد هذا الإيمان الحقيقي، تذكَّر عدة أجيال قبل مجيئه من العذراء وقال: «فأريد أن أُذكِّرَكم ولو علمتم هذا مرة، أن الرب بعدما خلَّص الشعب من أرض مصر أهلك أيضًا الذين لم يؤمنوا. والملائكة الذين لم يحفظوا رئاستهم بل تركوا سكنهم حفظهم

إلى يوم دينونة اليوم العظيم بقيود أبديّة تحت الظلام» (يه ٥، ٦). لو ولدت العذراء المطوَّبة مجرد إنسان، لما تكلّم التلميذ (يهوذا الرسول) عنه قائلاً إنه أخرج إسرائيل من عبودية المصريين وقاد الشعب في الصحراء وعمل معجزات عظيمة، في ذلك الوقت قبل ميلاده من العذراء بعدّة أجيال. فأين كان إذن أثناء هذه السنين؟ ماذا سيقولون؟ متى اكتسب بداية وجوده؟ إن فكرهم الخاص لن يسمح لهم القول بأنه أخذ بداية وجوده من الميلاد البتولي *Virginal Proceeding*. دعوا إذن مؤلفي هذه التعاليم الشريرة يشرحون متى امتلك هذا الإنسان بداية ميلاده؟ أين ووسط مَنْ قضى هذه السنين العديدة؟ ولكن لن يقول أبدًا صوتُ مُفَكِّرٍ إنه مجرد إنسان حدَّد عقاب الذين أخطأوا وأخرج بمجدٍ إسرائيل من أيدي المصريين، منذ القدم ومن الوقت الذي تركوا فيه مساكنهم الخاصة. فإن كان بحسب ما يتمسكون به، لا يمكن الاعتقاد أن يسوع هو الله الكلمة "للّوغوس"، لأنه وُلد من العذراء، ولا يمكن الاعتقاد بأنه إنسان لأنه صنع هذه المعجزات (لأن هذه الأشياء المذكورة غريبة عن الطبيعة والقدرة البشريّة)، فأي جوهر ومنزلة يمكنهم إذن أن يتخيلوها عنه؟

(د) المسيح بكونه الله

(٦) المسيح هو الله منذ الأزل والذي أيضًا صار إنسانًا

لكننا نكتشف أن كلماتهم مفعمة بالجنون والهذيان، تمامًا كما لو كانوا يتكلّمون وهم نيام أو سكارى. نقول لهم كلمات المُخَلِّص: «تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله» (مت٢٢: ٢٩). يجب أن تصحوا وتكفوا عن الخطية لأنكم من خلال الجهل بالله صرتم مرضى. أما نحن، فإننا من جهة أخرى نفهم بحق مجد الاتّحاد كما استلمنا، وندرك أنه الله السرمدي وأنه أيضًا صار إنسانًا في آخر الزمان، لاهوته مُصان من التغيُّر والتبدُّل، إننا نؤمن أيضًا أنه كان المُخَلِّص في الزمان الذي خرج فيه إسرائيل من مصر. إنه اللّوغوس منذ الأزل، نور وبهاء الآب ومالك السلطان الذي يليق بمجد الله. لهذا قال للمطوب موسى «أهية الذي أهية» و«أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خر٣: ٦، ١٤). لقد سُمِّي الابن عندما صار إنسانًا، بسبب الاتّحاد

وليس بسبب إنه سكن في إنسان. وبناء على هذا فإن الأسفار الإلهيّة المُوحَى بها تُمجِّده، رابطةً اسم يسوع المسيح بكل من الماضي والحاضر (أي قبل التجسد وبعده).

(٧) شهادات الأنبياء: إرميا وداود

علينا التأمُّل في هذا الأمر بأكثر وضوح في تعاليم الرجال القديسين. فإرميا[٤] يصرخ بوضوح: «هذا هو إلهنا ولا يُعتَبَر حذاءَه آخر. هو وجد طريق التأديب بكماله وجعله ليعقوب عبده ولإسرائيل حبيبه وبعد ذلك تراءى على الأرض وتردَّد بين البشر.» (باروخ ٣: ٣٦ ـ ٣٨). وتغنَّى داود كاتب المزامير أيضًا قائلاً: «صهيون الأمم تقول: إن إنسانًا وإنسانًا صار فيها وهو العلي الذي أسسها» (مز٨٦: ٥). فماذا يمكن أن يشير هذا إلا إلى أنه موجود بكونه اللّه / الإنسان؟ لأن داود اعترف بأن الإنسان هو نفسه العلي والخالق. وأيضًا نراه في مزمور آخر يحافظ على ما لا يُقِلُّ من مبدأ عدم انقسام الاتّحاد، ناسبًا أيضًا الأشياء التي تليق بالطبيعة البشريّة إلى كلمة اللّه "اللّوغوس" الحقيقي، ليس نتيجة لخلط الجوهريْن بل بالأحرى للحفاظ بوضوح على منطق اتّحاد الجوهريْن. لأجل هذا يقول في هذا الصدد في المزمور الرابع والأربعين: «كرسيُّك يا اللّه إلى دهر الدهور. قضيب استقامةٍ قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك اللّه إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.» (مز٤٥: ٦، ٧). هل ترون كيف يتكلَّم عن اللّوغوس بكونه اللّه، معترفًا به أنه اللّه والملك ولكن بدون تقسيمه ولا تقديم شخصٍ آخر مُضافًا إليه؟ هل ترون كيف يتكلَّم عن المسحة؟ دعهم إذن يشرحون هذا الكلام. كيف يُمسَح اللّوغوس وهو اللّه إلا إذا كان بحُكْمِ الواقع أخذ شكل العبد كي يكون ملائمًا لقبوله المسحة؟ ولكن إن قالوا أن الكلام عن المسحة

---

[٤] كان باروخ كاتبًا لإرميا النبي: «دعا إرميا باروخ بن نيريا فكتب باروخ عن فم إرميا كل كلام الرب الذي كلمه به في درج السفر» (إر٣٦:٤). أما سفرا باروخ، فيُطلَق عليهما: "زيادات لسفر إرميا *Additions to Jeremiah*" وهما موجودان في السبعينية، كسفريْن مستقليْن. السفر الأول (باروخ ١: ١–٥: ٩) عبارة عن مقدمة، صلوات ومزامير. أما الثاني فهو رسالة إرميا (باروخ ٦ في الفولجاتا اللاتينية)
Freedman, D. N. (1996, c1992). *The Anchor Bible Dictionary* (3:698). New York: Doubleday

يخص شخص اللّوغوس بسبب سكناه في إنسان، كما يتوهمون في الكلام، فدعهم يعْلمون بأن السُكنَى لا تقال في الإشارة إلى المسيح، ولكن في الإشارة إلى الأنبياء والقديسين. وبالتالي فإن الكلام في المزمور يفوق بكثير تعبيرات السُكنَى؛ لأنه بينما يسكن الله في كل القديسين، وبناء على هذا يتطهّرون ويُمسَحون، فلا يُقَال عنه (المسيح) إنه تطهَّر ومُسِحَ. فلو طبَّقوا السُكنَى عليه بطريقة مماثلة كما هو الأمر مع القديسين، فإن تجديفهم سيصير ظاهرًا للجميع ويكون من الواضح أن تعليمهم غريب بالكامل عن التعليم الرسولي.

(٨) شهادة الآباء الرسل: الرسالة إلى العبرانيين

عندما تكلَّم بولس عن الأنبياء والمسيح، علَّم أن الفرق بينهما يتجاوز كل مقارنة بقدر ما قيل إنه مُسِحَ مثلهم. لأن بولس يدعوه الابن، وبهاء ورسم *Character* جوهر *Substance* الآب بينما يدعوهم أنبياء. الأمر الرائع، أنه بعد كل هذه الشهادات السامية، أشار إلى المسحة وقال: «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواعٍ وطرق كثيرةٍ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين. الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب١: ١ ـ ٣). ثم قال بعد ذلك بقليل: «وعن الملائكة يقول: الصانع ملائكته رياحًا وخدّامه لهيب نار. وأّما عن الابن، كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك، أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» (عب١: ٧ ـ ٩). فهل تلاحظون كيف يختلف جدًّا تعبير سُكْنَى الذي يُطبَّق على المسيح؟ ولكن إن قالوا إن السُكنَى هنا ليست مثل السُكنَى في القديسين بسبب أنها تمّت بحسب اتحاد اللّوغوس بالإنسان الذي وُلِدَ من العذراء، بهذا يكون من غير الممكن الحديث عن اتّحاد حقيقي إنما فقط عن اتّحاد آخر بالنعمة والاشتراك في الله كما يحدث أيضًا في القديسين.

(هـ) المسيح الله والإنسان منذ ولادته

(٩) وُلِدَ المسيح إلهًا وإنسانًا ولهذا فإن العذراء هي أم المسيح *Christocokos* وأم الله *Theotokos*

لكن في حالة قولهم إن السُكنَى هي اتحاد ليس في العذراء إنما بعد أن أخذ ميلاده منها موضعًا. فلنأخذ ونفحص هذا الكلام أيضًا؛ هل بسبب هذا النوع من السُكنَى تُطبَّق المسحة على شخص اللّوغوس؟ سيقولون إنه بسبب وجود الإنسان جنبًا إلى جنب مع اللّوغوس واتّحاده (بحسب مفهومهم عن الاتّحاد)، فإنه من الضروري القول إنه مُسِحَ مع الاتّحاد. لأن النبي وأيضًا الرسول يتكلّمان عن الله اللّوغوس بكونه الله وينسبان إليه المسحة بوضوح. فإنْ نَسَبَ القديسون إلى اللّوغوس ـ بسبب اتّحاده ووجوده مع الإنسان ـ ما يليق بالإنسان، فعليهم على أية حال الاعتراف بأن هذه المسحة صارت بعد الاتّحاد. الآن، لو إنه مُسِحَ بعد الاتّحاد وهم لا يريدون الحديث عن الاتّحاد قبل الميلاد العذراوي، فلا يجب أن يدعوا العذراء أم المسيح "خريسطوطوكوس"؛ لأنه لو كانت أم المسيح فإنه من الضروري أن تكون أيضًا أم الله "ثيؤطوكوس"، وإن لم تكن "ثيؤطوكوس" فإنها لا تكون أيضًا أم المسيح "خريسطوطوكوس". لكن لو كانت المسحة بعد الاتّحاد، وإنها لهذا السبب ذُكِرَت للإشارة إلى شخص اللّوغوس، ولو قالوا إن الاتّحاد صار له موضعًا بعد الميلاد من العذراء، فإنها لا تكون بعد أم المسيح "خريسطوطوكوس". وعلى نحوٍ آخر، لو كانت هي أم المسيح "خريسطوطوكوس" فهي أيضًا أم الله "الثيؤطوكوس". لأنه بما أن المسحة لا يمكن أن تُفهَم قبل الاتّحاد لو كانت العذراء أم المسيح لأن الاتّحاد أخذ موضعًا فيها، فهي لم تلد إنسانًا كما يقولون، لكن الواحد المُتَّحِد باللّوغوس وهي بالحقّ تُدعَى "الثيؤطوكوس". هذا هو الأمر بالطبع كما قيل: الاتحاد كان حقيقة وليس كما يقولون إنه كمثل الاتّحاد في القديسين. إننا نقول إنه من المستحيل الحديث عن اتّحاد حقيقي بعد الميلاد، لكننا نَعْرِفُ المسيح ليس كإنسان مُتّحِد بالله ولكن بكونه الله آخذًا الحقائق البشرية *Human realities* (أي الجسد والنفس

والذهن)، وبكونه اللّه المُتّحِد بالتمام في العذراء بدون خطية. لهذا فإن سمعتم أن المسيح يُدعَى إنسانًا، فلا تنسوا أنه اللّه أيضًا. بولس المبارك أدرك هذا وكرز أحيانًا به على أنه نسل داود وأحيانًا أنه اللّه: «اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود» (٢تي٢: ٨) وأيضًا: «واللّه قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضًا بقوته» (١كو٦: ١٤). هل سمعتم كيف أنّ الواحد الذي هو من نسل داود والذي أقيم من الموت، يُبَشَّر به بكل وضوح؟

(١٠) إدانة اللّه لهؤلاء الذين ينكرون أن المسيح هو اللّه المتجسد

بما أنه يظهر بوضوح أنه ليس مجرّد إنسان كما يُفكِّرون، لكن كلمة "لوغوس" اللّه الأزلي الذي صار إنسانًا ووُلِدَ من العذراء، دعهم يتحقَّقون أنهم مُضلَّلين بجنون اليهود لأن «الرب سوف يجعل سيوفه ملتهبة ضِدّهم لو فشلوا في الرجوع ثانية» (حسب نص القديس كيرلس مز٧: ١٣) إنه لن يسمح بتجديفهم إلى النهاية، وإنما الآن بسبب طول أناته يسمح بهذا. اسمعوا ما يقوله بواسطة النبي المبارك عندما أشار إلى العقوبة التي ستقع عليهم بعد احتمال اللّه لاستمرارهم في الشر: «قد صمتُّ منذ الدهر. سكتُّ. تجلَّدتُّ. كالوالدة أصيح. أنفخ وأنخر معًا. أَخْرِبُ الجبال والآكام وأُجَفِّف كل عشبها وأجعل الأنهار يبسًا وأُنَشِّف الآجام» (إش٤٢: ١٤، ١٥). ويُعَلِّم المُرتل الأكثر قداسة عن الدمار السريع لغير الأتقياء حتى ولو انتصروا قليلاً بسبب أناة اللّه: «لأني رأيتُ رجلاً شريرًا عظيمًا ومرتفعًا مثل أرز لبنان ومررتُ به، وانظروا، إنه لا يكون بعد. لقد رأيته وموضعه لا يمكن أن يوجد» (مز٣٦: ٣٥ ـ ٣٦ بحسب النص).

(١١) النهاية المخزية للهراطقة الأولين الذين أنكروا المسيح

هذه الأمور وأمور مثلها معروفة لجميع الذين يحاولون تشتيت الشعب عن الديانة الحقّة، كما أوضحت، بدون شك، الهرطقات المذكورة آنفًا. ما المنفعة التي جلبها خداع آريوس[٥] له؟ ما المنفعة في

---

[٥] الأريوسيون: الابن ليس له نفس الجوهر مع الآب، وله بداية كأول وأعلى كائن مخلوق.

هرطقة أونوميوس[٦] وهؤلاء المُجَدِّفين على الروح القدس؟[٧] ما الفائدة من هرطقة بولس الساموساطي[٨] أو جنون ذاك الذي يُدعَى أبوليناريوس؟[٩] كل هؤلاء الرجال كانت نهايتهم مُخزِية لحياتهم الحاضرة وأُلقوا خارج حدود الكنيسة. وسوف يلقون خارج «كنيسة أبكار مكتوبين في السماويات» (عب١٢: ٢٣). «لأن أسماءهم قد حُذِفَتْ من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يُكتَبوا» (مز٦٨: ٢٩). نفس النهاية سوف تأتي على الذين يُجَدِّفون الآن، وخصوصًا هؤلاء الذين صاروا قادة لهذا الانحراف، إذا لم يدركوا بسرعة حماقتهم وحاولوا الرجوع إلى المكان الذي سقطوا منه. لأنهم سوف يسمعون من المُخلِّص: «تمامًا مثل قطعة من لباس ملطخة بالدماء غير نقيّة، فأنت أيضًا ستكون غير نقي. لأنك أضعت أرضي وقتلت شعبي، فسوف لا تبقى إلى الأبد.» (إش١٤: ١٩ ـ ٢٠ بحسب النص). أمّا نحن، الذين بنينا إيماننا بقوّة على الصخرة التي لا تنكسر، فلنحفظ الديانة الحقّة إلى النهاية. دعونا لا ننزعج إطلاقًا بأعدائنا بل بالأحرى سيكون لنا حب الرب سلاح لا يُقهَر. فلنفتخر به في عمل الأشياء ونسخر من وضاعة أعدائنا ونقول كلمات النبي: «اللّه معنا (عمانوئيل): هيجوا أيها الشعوب وانكسروا، واصغي يا جميع أقاصي الأرض، احتزموا وانكسروا، تشاوروا مشورة فتبطل، تكلّموا كلمة فلا تقوم، لأن اللّه معنا» (إش٨: ٨ ـ ١٠ بحسب النص).

يُتْبَع

---

[٦] الأنوميانيون: هم أتباع آريوس الأكثر تعصبًا أو تطرفًا، بينما يقبلون أن الآب والابن متحدان في الإرادة، يؤكدون أنهما غير متشابهين (ανομοιος "أنوميوس") في الجوهر. اعتبروا أن أي اعتراف بالمشابهة في الجوهر بين الآب والابن والروح القدس يعتبر سابيلية تنكر التمايز بين أقانيم الثالوث.

[٧] المكدونيون: الروح القدس هو كائن مخلوق. ينكرون إلوهية الروح القدس.

[٨] الأرتيمونيون: السيد المسيح هو مجرد إنسان عادي، ولكنه وُلد من عذراء وامتلأ بقوة إلهية. وهو يفوق الأنبياء في الفضيلة.

[٩] الأبوليناريون: يسوع المسيح ليس له روح إنسانية أو نفس عاقلة بل حلّ محلها اللّوغوس الإلهي ولا يمكن أن يكون له ناسوت كامل لأنه لا يمكن أن ينتج اتحاد بين كائنين تامين، الله والإنسان، إنما مجرد هجين.